الهروب . وبعد ذلك بنيت بنيانا فوقيا للهروب ، بناء أساسه من الرمال . وهاءنذا الان أرى اللجة، وأرى نفسي في داخلها وأراها في داخلي . » هذه هي قصة الحكاية كلها .

اما اذا انتقلنا الى المستوى الآخر ، وهو المستوى الذي يجعل من هذه الحبكة الروائية ، ومن أحداثها ، أشياء ذات مغزى ، فاننا سنلاحظ ان القاص قد أجاد في جعل بطله يواجه نفسه ، وفي دفعه الى أركان اللاخيار وارغامه على التطلع الى نفسه من موقع استطلاع البعد النقدي .

ان **أسس عزلة** يعقوب دروري ، البطل المميز للادب الاسرائيلي في الاونة الاخيرة ، قد تم تفصيلها هنا بالكامل . ان الاغتراب ، كما تجلى في علاقة يعقوب بعفرة في خلال فترة زواجهما ، وابتعاده النفسي عنها ، بالرغم من العلاقة العاطفية العميقة التي لم يكن يدري بها بما فيه الكفاية الى ما بعد الانفصال ، هذه الغربة ولدت كذلك الاحساس بالشك تجاه ابوته للفتاة ، وذلك لان عفرة بسبب ابتعاده عنها اقتربت من ايلان ، التي وجدت لديه أذنا صاغية ونفسا مفتوحة لاحاسيسها . وقد استمر حبها ليعقوب قوة من علاقاتها الودية مع ايلان . وكان الانفصال القاسي الذي فرضه عليها يعقوب بسبب محدوديته بمثابة جرح لا يندمل . وكان زواجها من ايلان بمثابة هروب الى احضان رجل ودود ولديه القدرة على فهمها ، ولكنه لم يكن على الاطلاق بديلا للحب الدفين الذي تكنه ليعقوب . ان جذوة النيران قد واصلت الاشتعال تحت الرماد سرا وتغذت من سطور الرسائل التي اهتمت عفرة بارسالها الى يعقوب من خارج البلاد. ولكن يعقوب كان يطوي الرسائل ، ولم يكن يمر بعيونه على أحر منها . لقد استمرت غربته الى ان جاءت الهزة الكبرى ، هزة الحرب . **والانطواء على الذات** ، هو صفة مميزة رئيسية ليعقوب ، وهو عنصر من عناصر عزلته . انه لا يعرف كيف يوزع حزنه وسروره ، ومشاعره وانشداهاته مع عفرة ولا مع رفاقه القلائل . وقد أدى هذا الانغلاق الى الاساس الثالث — وهو الانسحاق . لقد كان يتحسس طريقه في شك وكان حيثما يتوجه يخاف من أن يوجه للمحيطين به ظهره المكشوف .

والقاص يتعاطف مع بطله تعاطفا عميقا ولا يدخر رموزا وايضاحات من اجل وضع اسس شخصيته المعقدة . ولكن فيما وراء البطل الوحيد يثير القاص وجهة نظر ، تنادي بالانفتاح المعبر عن الثقة ، لان الحوار والاخوة هما اساس ثابت للمشاركة والاعانة النفسية حتى حينما لا يكون كل من الماضي والحاضر مصدر سعادة للانسان — وربما لانه من المهم للغاية بالنسبة للقاص ان يقنع القارىء بأن الايضاح سوف يأتي حتما ، فانه يصور صورة الغموض الذي سبق هذا الايضاح بألوان فاقعة وواضحة . والرحلة الى الوراء ، الى جذور كينونة يعقوب دروري ، هي رحلة طويلة ومليئة بالمحطات الكثيرة . وهذه المحطات موزعة تقريبا في كل صور ، وفي كل موقف ، وتلحق بالدائرة ، التي تغلق في يوم الحسم . والحسم النهائي للبطل هو اذن بمثابة نتيجة متجمعة للفرضيات الخاصة بالارضية الصلبة . ان البطل يكون في حالة استعداد قصوى من اجل التخلص من التطويق في اللحظة التي يكتشف فيها ، ان مطارديه في داخله ، وليسوا خارجه . ونضوج الوعي يؤدي الى انفتاحه ، وهو الامر الذي يصنعه القاص ليعطي به اساسا لامل جديد ، وكمخرج من العزلة والاغتراب والانسحاق والانطواء ، وكل المثالب التي تعم نفسية بطله ، انسان المجتمع الاسرائيلي . وهذا النضوج يجعله القاص يحدث في لحظة مأساوية . ان لحظة التنوير في القصة تبدأ بالجنازة ، جنازة احد ضحايا حرب الايام الستة ، تلك الحرب التي لم يشترك هو فيها ، ولكنها خلصته من زوج مطلقته لتجعله يكتشف نفسه من جديد . اذن ، لا بد من الضحايا ، ولا بد من المأساة ، ولا بد من الدماء ، حتى يستطيع البطل المأساوي التخلص من كل آفاته ، آفات الانسان الاسرائيلي في أدب « الموجة الجديدة » ، من العزلة والاغتراب والانسحاق والانطواء على الذات. ولكن هل يتحقق هذا الامل ؟

رشاد الشامي